جمهورية مصر العربية ٢ من شعبان ١٤٣٨هـ
وزارة الأوقاف ٢٨ من أبريل ٢٠١٧م

(١)

قيمة العمل في الإسلام

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم :{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، **وبعد** :

فقد حثَّ الإسلام على عمارة الأرض واستخراج كنوزها ؛ تحقيقًا للبناء والتعمير ، قال تعالى:{هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}، أي : طلب منكم عمارتها وإصلاحها ، والنظر فيما أودع فيها من خيرات وما قدر فيها من أقوات.

ولقد اهتم الإسلام بوسائل عمارة الكون ، فحث على الضرب في الأرض والسعي في مناكبها ، والتنقيب عن موارد الرزق في البر والبحر ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:{فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ }، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَمْسَى كالًّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ).

هذا وللعمل في الإسلام مكانة عظيمة ، حيث جاء الأمر به من الله (عز وجل) بعد الأمر بالصلاة ، فقال الحق سبحانه :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي ، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ).

وكذلك أباحه الإسلام في كل وقت ، فقال (عز وجل) : {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ...} .

ولقد عرف الصحابة (رضي الله عنهم) قيمة العمل فقاموا به خير قيام ، فلم يتكاسلوا أو يتواكلوا ، فهذا عُمر بن الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قد لَقِيَ نَاسًا لا يعملون ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟. قَالُوا : نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ. قَالَ: بل أَنْتُمُ الْمُتَوَاكِلُونَ ، إِنَّمَا الْمُتَوَكِّلُ الَّذِي يُلْقِي حَبَّهُ فِي الأَرْضِ وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ).

ولأهمية العمل من أجل البناء والتعمير جاءت آيات القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة زاخرةٌ بالحديث عنه، فحثت على الجدِّ والاجتهاد والعمل والبناء ، وترك الخمول والكسل ، وبينت أن العمل سبيل لحفظ ماء الوجه والرفعة والعزة والكرامة الإنسانية، قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ)، وكان سفيانُ الثوريّ (رحمه الله) يمُرُّ ببعض الناس وهم جلوسٌ بالمسجدِ الحرام ، فيقول: ما يُجلِسُكم؟ قالوا: فما نصنَع؟! قال: اطلُبوا من فضلِ الله ، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين.

ولقد بين الإسلام الحنيف أن من يسعى على كسب معاشه ورزق أولاده من حلال فهو في درجة المجاهد في سبيل الله تعالى ، فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَجُلاً مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ !! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى

أَهْلِهِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى رِيَاءً وَتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ).

كما رغَّب الإسلام في العمل من أجل نهضة الوطن ورفعته ، وتقدمه وازدهاره ، فحثَّ المسلم أن يكون عاملاً معطاءً معمرًا في الأرض ولو لم يدرك ثمرة هذا العمل ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا) ، كما بين النبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) قيمة العمل وأهميته ، حيث كان يعمل بنفسه ، ويقوم على خدمة أهله ، قالت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : (كان رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) يَخصِفُ نعله، ويَخيط ثوبَه ، ويعمل في بيته كما يعمل أحدُكم في بيته).

على أن العمل الذي أمر به الإسلام ، ورغب فيه يشمل جميع مجالات الحياة مالم يكن حرامًا ، ففي مجال الزراعة حثَّ الإسلام على العمل ورغب فيه ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلاَّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ – يأخذ منه أحد فينقص– إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ)، وقال أيضًا : (مَا مِنْ رَجُلٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – لَهُ مِنَ الأَجْرِ قَدْرَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِ ذَلِكَ الْغَرْسِ) ، وفي مجال استصلاح أرض الموات قال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَلَهُ مِنْهَا أَجْرٌ وَمَا أَكَلَتِ الْعَوَافِي – كلُّ طالب رزْقٍ من إنسانٍ أو بَهيمةٍ أو طائرٍ– مِنْهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ) ، فنحن في حاجة ماسة إلى العمل في استصلاح الأرض وزراعتها ، رغبة في الأجر ، وسدًّا للفجوة الغذائية الكبيرة بين ما ننتجه وما نستورده من الخارج ، وقد أحسنت الدولة صنعًا حين قامت باستصلاح مليون ونصف المليون فدان ؛ لكي تزيد الرقعة الزراعية لبلادنا الحبيبة.

وقد كان لكل نبي عمله وحرفته ، فكان سيدنا نوح (عليه السلام) نجَّارًا ، وكان سيدنا داود (عليه السلام) حدَّادًا ، وفيه قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنّ نَبِيّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) عمل بالتجارة ورعي الغنم .

وعلى منهجه (صلى الله عليه وسلم) في الحث على العمل وضرورة إتقانه سار الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) من بعده ، والتابعون من بعدهم ، وكان الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يقول:

لحمل الصخر من قمم الجبـــال *** أحــب إليّ من منن الرجـــال

يقول الناس لي في الكسب عيب *** فقلــت العيــب فــي ذل السؤال

فبالعمل الجاد المشروع يكفي الإنسان مؤنة نفسه ومن يعول ، من خلال الحصول على المال الحلال الذي هو عصب الحياة ، ويقي نفسه من عقاب ربه ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ) ، وفي رواية : (كَفي بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ).

ولم يكتف الإسلام بدعوته للعمل فحسب كقيمة شرعية وضرورة وطنية ، وإنما دعا إلى إتقانه ، ويعدُّ ذلك أمانة ومسئوليَّة في عنق العامل والصانع ، أو الموظف ، وسائر ما يكلف به الإنسان من أعمال أيًّا كان نوعها ، صانعًا ، أو زارعًا ، أو طبيبًا ، أو مهندسًا ، أو معلمًا ، أو إداريًّا ، أو غير ذلك ، فليس المطلوب في الإسلام القيام بالعمل فحسب ، بل لا بُدَّ من الإخلاص والإتقان والإجادة فيه وأدائه بكل أمانة ؛ فذلك سبب للوصول إلى محبَّة الله تعالى، ومن أحبه الله هداه واجتباه ، وحفظه ووقاه ، وأسعده في الدنيا والآخرة ، يقول النبي (صلَّى الله عليه وسلَّم) : (إنَّ الله يحبُّ إذا

عمِل أحدُكم عملاً أنْ يُتقِنه) ، فهذا يعني أن إتقان العمل عبادة قبل أن يكون وفاءً بحق صاحب العمل، فنعامل الله تعالى في أعمالنا وعلاقاتنا قبل أن نعامل العباد ، وفسر بعض العلماء قوله تعالى:{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا}بأن أصلح العمل أخلصه وأتقنه .

ونؤكد أنه بالعمل المتقن نتبوأ الصدارة بين الأمم ، ولنعلم أن النجاح والإصلاح في الدنيا مرتبط بالعمل ، فارتباط السعادة والفوز بالعمل الصالح ليس مقصورًا على الآخرة وحدها ، فلا يخيب سعي ساعٍ ، ولا جهد مجتهد في الدنيا ، يقول الله تعالى:{إِنّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَات إِنّا لَا نُضِيعُ أَجْر مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}، فمن عمل أُجر ومن قعَد حُرم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

لقد حث الإسلام على العمل ورغَّب فيه وحارب البطالة ، وحثَّ على النشاط واستثمار الطاقات المعطلة ، خدمة للدين ورفعة للوطن ، حتى يتم القضاء على البطالة والكسل وكل المظاهر السلبية التي لا تليق بأمة الإسلام التي أقامت أعظم حضارة عرفتها الإنسانية ، وهذا أنموذج في غاية الروعة للحث على العمل ومحاربة الكسل والبطالة ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) يَسْأَلُهُ ، فَقَالَ : أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، حِلْسٌ نَلْبَسُ

بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ : ائْتِنِي بِهِمَا ، قَالَ : فَأَتَاهُ بِهِمَا ، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) بِيَدِهِ، وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ ؟ قَالَ رَجُلٌ : أَنَا، آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ ، قَالَ : مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلاَثًا ، قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ، فَأَتَاهُ بِهِ ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) عُودًا بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ ، وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا ، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ : لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ).

وجدير بالذكر أن الإسلام بتعاليمه السمحة وتشريعاته الحكيمة حارب كل مظاهر الكسل التي لا تساعد على البناء والتعمير ، بل واعتبر الكسل صفة ذميمة يمتد خطرها إلى أفراد المجتمع ؛ لذلك استعاذ منه النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال: (اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ) ، وقد قرن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في استعاذته بين الكسل والعجز ؛ لأنهما قرينان فكل منهما يؤدي إلى التثاقل عن إنجاز المهمات المطلوبة من الشخص إنجازها ، ويقول الإمام علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): " التواني مفتاح البؤس ، وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ، ونتجت الهلكة ، ومن لم يطلب لم يجد وأفضى إلى الفساد ".

إن الأمة اليوم أحوج ما تكون إلى العمل الجاد ، واستثمار الطاقات المعطلة

وتعظيم الموارد ، وترشيد الاستهلاك ، وهذا هو عين ما كان يفعله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويوجه الأمة إليه فيستثمر كل شيء فيه نفع يعود بالخير على صاحبه، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : تُصُدِّقَ عَلَى مَوْلاَةٍ لِمَيْمُونَةَ بِشَاةٍ فَمَاتَتْ فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: (هَلاَّ أَخَذْتُمْ إِهَابَهَا فَدَبَغْتُمُوهُ فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ) فَقَالُوا : إِنَّهَا مَيْتَةٌ ، فَقَالَ : (إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا).

فالعمل يرفع من شأن صاحبه ، ويجعله عزيزًا مكرمًا بين أقرانه ، رافعًا هامته عالية لا يخفضها إلا لربه ، وتواضعًا لخلقه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ)، قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟. قَالَ: (يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلاَءِ لِمَا لاَ يُطِيقُهُ)، وكان سفيانُ الثوريّ (رحمه الله) يمُرُّ ببعض الناس وهم جلوسٌ بالمسجدِ الحرام ، فيقول: ما يُجلِسُكم؟ قالوا : فما نصنَع؟! قال: اطلُبوا من فضلِ الله ، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين.

ويكفي العمل شرفًا أنه يعصم صاحبه من الحاجة إلى ذل السؤال ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (الْمَسَائِلُ كُدُوحٌ – جمع الكدح وهى الخدوش– يَكْدَحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ ، فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ إِلاَّ أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ أَوْ فِي أَمْرٍ لاَ يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ) ، قَالَ: (مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا ، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ)،ويقول(صلى الله عليه وسلم): (اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغنهِ الله).

اللهم هب لنا عملا صالحًا يقربنا إليك ....